القصص

يوم عصيب فى جبل المقطم

للأستاذ محمد الدمرداش محمد

مدير إدارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

- ٢ -

فى المقالة الأولى وصف الكاتب كيف ضل هو وصديقه فى جبل المقطم حتى اهتديا بعد الغروب إلى واد لها به معرفة سابقة ، وهو وادى دجلة . فاتخذا طريقهما فيه نحو مدخله .

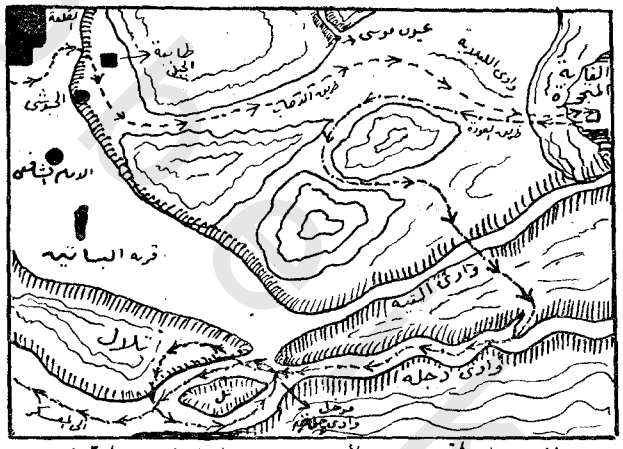

جبل المقطم - الغابة المتحجرة - وادى الشبه - وادى دجلة - طريق الذهاب - طريق العودة

عيون موسى وادى السيدة

مضت ساعة على هذه الحال ولم نصل بعد الى مخرج الوادى ، فقال صاحبى الا من نهاية لهذا الوادى ؟ فقلت لم يبق لنا الا ساعة واحدة ، فقال وماذا بعد ذلك ؟ قلت اما ان نقصد «طره» ونركب القطار الى باب اللوق ، واما أن نذهب الى المنشية عن طريق البساتين ومدافن الامام الشافعى . فقال انه يفضل الطريق الاخير ، فقلت لا بأس وعلى كل حال فالزمن اللازم لقطع المسافة فى الحالتين لا يقل عن ساعتين من مدخل الوادى — فتضجر صاحبى ونظر الى ساعته ثم قال . . أننا لن نصل الى بيوتنا قبل نصف الليل . فلم أجبه بشئ ، وبعد سكون طويل عاد وسألنى : هل من خوف علينا فى هذه الجهات النائية الموحشة من الوحوش أو اللصوص ؟ فقلت كن مطمئنا فالله معنا وهو يحمينا . فقال : كيف ذلك وليس معنا ماندفع به عن أنفسنا غير هذه العصا — مشيرا الى عصا قصيرة كنت احملها فى يدى — وقبل أن جيبه عن سؤاله عثرت قدماه بحجر كبير فكاد يسقط ، فتألم وتضجر ثم سكت ، وغشينا سكون عميق ، لا نسمع فيه غير وقع أقدامنا على أرض الوادى الصخرية وصفير الريح فى صدوع الصخور وثقوبها

ولا أطيل القول . فقد كانت الساعة التاسعة عندما وصلنا مدخل الوادى . وما كدنا نتجه نحو بلدة البساتين حتى امطرتنا السماء مدرارا مرة أخرى ، واشتد الظلام حتى لانرى أمامنا أكثر من نصف المتر ، ولكن ذلك لم يمنعنا من الاستمرار فى السير والجد فيه ، ثم أخذنا نرتقى اول تل فى طريقنا وهو يرتفع عن السهل نحو ٥٠ مترا . وحدث هنا أمر كان يقضى على لولا لطف الله فى تلك الليلة الليلاء — فعند ما كنا نتسلق التل الى ظهره صاح بى صاحبى مستنجدا فالتفت فجأة الى الوراء لأتبين ماحل به ، وكنت متشبثا بكلتا يدى بحجر فى جدار التل ، فلم أشعر الا وقد زلقت يداى واختل توازنى وأخذ جسمى يتدحرج بعنف الى الارض ، ولكن قدرت لى السلامة ، فصدمنى حجر آخر منعنى من الهبوط بعد أن أصبت فى رأسى وركبتى اصابة بسيطة ، ولما استعدت توازنى انتصبت واقفا وأنا أكاد لاأصدق بالنجاة ، ثم سمعت صاحبى يناديني وقد بلغ ظهر التل ، فاتكأت على عصاى وأخذت طريقى اليه وفى رأسى دوار من أثر الصدمة ، وعندما ادركته استرحنا قليلا وقد سرى عنى بعض الغم ، ثم لحظت الريح تهب من الجنوب الغربى فاستغربت ذلك وأدركت السر فى وجودنا فى مكان يبعد عن الغابة المتحجرة الكبرى بنحو ١٢ كيلو متراجهة الجنوب الغربى مع أن سيرنا منذ الظهر كان فى اتجاه الشمال حسب ظنى . فلما تغير اتجاه الريح من الشمال الغربى الى الجنوب الغربى درنا معها فى منحنى واسع من غير انتباه . فلما استرحنا قمنا متجهين نحو البساتين فبعد ان قطعنا فى التل مسافة طويلة أخذنا ننحدر نحو القرية ، وهنا انقشعت السحب وصفا أديم السماء وظهرت النجوم فألقيت نظرة على ماحولى ولشد ما دهشت حين وجدتنا لانزال نسير امام مدخل

وادى دجلة قاطعين عرض المدخل من الجنوب الى الشمال ؛ فكظمت دهشتى وحيرتى وعدلت اتجاهى مرة أخرى ، وعدنا فارتقينا التل مرة أخرى وبعد قليل تبين لى أيضاً أننا لا نزال نسير أمام وادى دجلة أمر غريب محير لم أرفى تعليله الا شيئا واحدا وهو ان رأسى فقد الاتجاه ! فلما صرت الى هـــذه الحال أشرت على صاحبى بالجلوس للراحة ، فقال ولماذا ؟ فقلت له قد ضللنا الطريق مرة أخرى ! فما كاد يسمع هذه الكلمة حتى خارت قواه وسقط على الأرض ، وأخذت جسمه رعدة شديدة ، واقسم أنه لا يبرح مكانه ، ثم استولى عليه النعاس فنام نوما عميقا ، فجلست بجانبه وأخذت أفكر فى الامر وأنا حزين بائس ، وقام بعقلى أن أعود الى الوادى ملتمسا لنا ملجأ نأوى اليه حتى الصباح . بيد انى رأيت قبل تنفيذ هـذه الفكرة ان أقوم بمحاولة أخيرة ، فخلعت سترتى وألبستها عصاى وغرست العصا بالأرض بجانب صاحبى لتكون علما أستدل به عن مكانه عند عودتى ، ثم صعدت أعلى قمة بالقرب منا مستكشفا ماحولنا ، فأدرت بصرى فى الجهات الأربع فلمحت جهة الغرب وراء الأفق ضوءا ساطعا ظننته أول وهلة ضوء مصانع شركة الأسمنت بالمعصرة . فهرولت الى صاحبى أزف اليه هـذه البشرى فأيقظته من نومه قائلا لقد أبصرت ضوءا قويا جهة الغرب سوف يهدينى طريق السلامة . فلم يكترث لقولى — ويظهر أن النوم كان قد أراح عقـــله

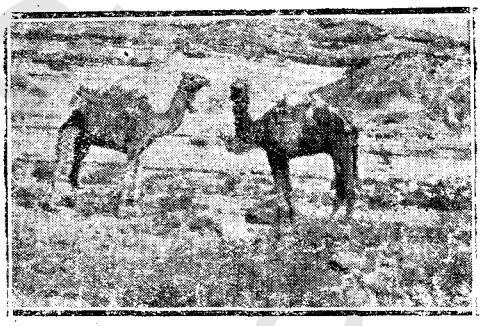

منظر فى وادى دجلة

وجسمه نوعا . فنهض فى نشاط وقال : هيا بنا مغمغما بكلمات لم أتبينها . ثم اعتمد على كتفى بأحدى يديه وأخذنا نسير وقد عولت هذه المرة أن أتبع مسيل الوادى من غير انحراف ، فأخذت طريقى مع مجرى السيل خطوة خطوة ، وكان جسمى وعقلى متعبين . وعيناى غائرتين ضعيفتين ، وعلى الجملة كانت حالتى سيئة ، وكنت أشعر بيده على كتفى كأنها حجر ثقيـل . فكنت أنقلها من كتف الى كتف من غير أن أزعجه فى سكونه — بعد أن سرنا على هذه الحال ساعة ونصفا انكشفت أمامنا أضواء شديدة ساطعة انشرح لها صدر صاحبى وعاودته بشاشته ، فأخذ يمزح ويعيب هيئتى الرثة ، فوجهى مغبر شاحب ، وطربوشى من الأمطار فقد شكله وأصبح متهدلا كاسيا رأسى حتى أذنى ، وبدلتى تقلصت وضاقت ؛ فارتفع طرف بنطلونى ألى قرب ركبتى واسترخى جوربى ، فغطى حذائى وامتلأ الحذاء بالماء والوحل . وعلى الجملة فان شكلى كان مضحكا وهيئتى تدعو الى الشفقة والرثاء .

بعد أن فرج صاحبى بعض كربه بأمثال هـذه المهاترة سألنى فيم أفكر ؟ فقلت انى أستغرب وجود هذه الأضواء الشديدة

منظر فى وادى دجلة

فى هذه البقعة ؛ فقال مازحا : لا تستغرب فربما كان الجن قد نصبوا لهم هنا عرسا ، فقلت تعوذ بالله فحسبنا ما أصابنا هـذا اليوم — وبينما نحن فى هذا الحوار سمعنا صوتا غريبا يرن فى الفضاء ، فوجمنا لهذه المفاجأة الجديدة ثم أنصتنا بشدة خلت معها أنى أسمع دبيب الحشرات فى بطن الأرض ، وأخذنا نحدق يمينا وشمالا عسى أن نهتدى لمصدر الصوت فلم نر شيئا . وبينما نحن فى اضطراب وحيرة رن الصوت فى الفضاء ثانية ، وكان فى هذه المرة جليا : سمعنا « هولت! » Holt : « هولت! » فقلت لصاحبى بلهفة قف : فقال ما الخطب ؟ قلت يظهر اننا فى وسط معسكر للجنود الانجليزية ، فقال ياسوء المصير ! فقلت له اطمئن ولا تخف ، وبعد قليل تقدم الينا ثلاثة من الجنود الانجليزية مدججين بالسلاح وسألونا هل معكم سلاح ؟ فاجبنا مأخوذين ليس معنا سوى هذه العصا . فقالوا تقدما ، فتقدمنا ثم قادونا الى خيمة قريبة مضروبة بالقرب من المعسكر فوجـــدنا بها ضابطا شابا على كرسى وأمامه منضدة وهو مشغول بالقراءة فى كتاب أمامه . فلما لمحنا نظر الينا شزرا وسألنا وهو يتثاءب : هل أنتما هاربان من المعسكر ؟ فأجبت : لسنا جنودا ، فقال بخشونة : اقصد انكما أسيران هاربان من المعسكر ، فقلت : عفوا لسنا من الاسرى ، فقال وهو يمعن فينا : من انتما اذن ؟ فقلت . انا فلان ووظيفتى كذا وزميلى فلان ووظيفته كذا ، فكتب ذلك فى ورقة أمامه ، ثم قال . ما خطبكما ؟ فقصصت عليه

(البقية على صفحة ٤٢)